صِفَاتُ
القَلْبِ السَّلِيمِ

أ.د. صالح بن عبد العزيز سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلاميّة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمّا بعدُ:

فاعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ القلوب هي التي عليها المُعوَّلُ والنجاة بتوفيق الله ﷻ ورحمته مرتبطةٌ بصلاح القلوب وُجودًا وعدمًا. والله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى قد بيَّن لنا في كتابه أنّ الذي يسْلَمُ في ذلك اليوم العظيم هو صاحب القلب السليم. قال سبحانه: **﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** [الشعراء: 88-89]، فإذا أردت النجاة عند الله ﷻ فاعلم أنّ القلب لا بُدَّ أن يكون قلبًا سليمًا.

هذا المجلس الذي أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان المتكلم والسامع، نريد أن نقف فيه وقفة مع صفة القلب السليم، لعل ذلك أن يكون سببًا في أن نُحصِّل هذه الدرجة العظيمة وهذا السبب المبارك للنجاة عند الله ﷻ.

يا إخوتاه شأن القلب عند الله ﷻ عظيم، والمحب لربه الراغب في نجاة نفسه عليه أن يكون مداومًا للمراقبة لقلبه. القلب محلُّ نظر الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، ففي صحيح مسلم قال ﷺ: **«إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ ولا إلى أجسادكم، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ»**، الله سبحانه يرى كل شيء ولا يخفى عليه شيء. **لكن معنى هذا الحديث:** أن الرؤية التي يترتب عليها الثواب والعقاب هي رؤية ما في القلوب. صلاح الأعمال وفسادها مبنيٌّ على القلوب، قال ﷺ: **«أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»**. إذن إذا كان الأمر بهذه المثابة فحري بنا -يا أخوتاه- أننا في كل وقت ناظرين في قلوبنا متأملين في حاله؛ لأن القلب يتأثر سريعًا بأيِّ شيء يقابله، يؤثر فيه أدنى شيء، شأنه شأن الثوب الأبيض، مِثْلُهُ أو مَثَلُهُ مثل هذا المنديل

أبيض صافي، ولذلك أدنى أثر يؤثر فيه، وأثرٌ بعد أثرٍ بعد أثر لابد أن تكون نتيجته أن يعلوَ الرّان على القلب، وربما يصل إلى أن يسود والعياذ بالله. ولذا كان من دعاء النبي ﷺ كما عند أبي داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والحديث طويل ولعله معروف عند كثير منكم فيه دعاء، قال: كان النبي ﷺ يدعوا: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ»، إلى أن قال: «وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي». واسلُلْ يعني: أخرجْ ونقِّ سخيمة قلبي، السخيمة يعني: الشيء الذي هو سيء وضارّ في القلب، فأصل السخم السواد، فكأن القلب مع توالي الغفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يسود فيدعو نبينا ﷺ ربّه: «وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي». هذا ونبينا ﷺ قلبه أسلم القلوب وأنقاها وأصفاها، ولا شك عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ، فكيف بقلوبنا يا إخوتاه؟! هذا موضوع حريٌّ بكل واحد منا أن يتأمله كثيرًا وأن ينظر في حال قلبه دائمًا إذا كان يريد السلامة والفلاح عند الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى.

القلب السليم هو الناجي عند الله عز وجل، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. القلوب السليمة قلوب الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقلوب الصالحين من بعدهم. قال الله عز وجل عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: 83]، ﴿مِنْ شِيعَتِهِ﴾ يعني: من شيعة نوح؛ لأنه ذُكر قبل ذلك. ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: 83-84]، الصالحون أصحاب القلوب السليمة، سلِمت قلوبهم في الدنيا فنجوا في الآخرة.

أما إنْ لقيتَ الله عز وجل بخلاف ذلك فهي الخسارة كلُّ الخسارة، أموالك، أولادك، مركزك، شهاداتك، كل ذلك والله لا ينفعك يوم القيامة، ستخرج من قبرك وأنت على هيئة عجيبة. قال النبي ﷺ في وصف حشر الناس وخروجهم من قبورهم إلى موقف الحساب بين يدي العظيم سُبْحَانَهُ وَتعَالَى يوم هم من الأجداث إلى ربِّهم ينسلون، قال ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»؛ **حفاة:** حتى النعال ما معهم نعال، **عُراة:** حتى الملابس لا ملابس، **غُرْلًا:** يعني: غير مختونين، حتى هذه الجلدة التي قُطعت من الذكر في الدنيا تعود يوم القيامة وصدق الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: 94]، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104]. تقف أمام الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى بلا شيء خال الوفاض ليس معك شيء، اللهم إلا عملك الذي عملته في الدنيا. إذن لا ينفعك عند الله مال ولا ولد ولا شيء، الذي ينفعك عملك عند الله ﷻ، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. ما أحرى هذه الآية أن تكون نصب أعيننا دائمًا نتذكرها؛ لأن هذه الحياة فيها من المشغلات والفتن والملهيات ما يبعدنا عن هذه الحقيقة العظيمة أننا سنلقى الله وسنترك كل شيء، ولن ينفعنا شيء برحمة الله إلا قلوبنا الصالحة السليمة.

بعضُ الناس يسأل بعضَهم ما هو هدفك في هذه الحياة؟ يعني: ما هو الشيء العظيم الغاية التي تسعى لها في هذه الحياة؟

أصحاب القلوب والعقول الضعيفة همتهم قاصرة على هذه الحياة الدنيا الدنيئة التي لا تساوي عند الله جناح بعوضة، كم -يا إخوتاه- يُباع جناح البعوضة؟ إذا كان عندي جناح بعوضة بكم تشترونه -يا إخوتاه- كم تدفعون فيه؟ هذا هو قدر الحياة عند الله ﷻ، هذا الذي همته قاصرة على هذه الحياة، يقول: هدفي في الحياة أن أُصبح كذا وكذا وأن أحمل الشهادة العُليا كذا وكذا، وأن أُحصِّل من المال كذا وكذا، هذا هو هدفه في الحياة.

لكن أهل القلوب السليمة الصافية والعقول الكبيرة همّته في الحياة شيء آخر يريدون أن يصلوا إلى ما وصل إليه إبراهيم عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم فيجيئون ربهم بقلب سليم، هذا هو الهدف الأسمى، هذه هي الحقيقة الكبرى التي ينبغي أن يعيش كل واحد منا لأجل تحقيقها. كيف أجيء ربي بقلب سليم؟ إبراهيم عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم جاء ربه بقلب سليم وهو قدوتنا عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، جعله الله ﷻ قدوةً لهذه الأمة، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: 123]، قدوة لنا وأسوة عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، جاء ربه بقلب سليم. وأخوه محمد ﷺ جاء ربه بقلب سليم، وإخوانه من الأنبياء والمرسلين ومن بعدهم أصحاب نبينا محمد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم، ثم الشهداء والصالحون من بعدهم جاءوا ربهم بقلب سليم.

كيف أجيءُ ربِّي بقلبٍ سليمٍ؟ ضع هذه عنوان حياتك، هذا هو الهدف الذي ينبغي من يومك هذا أن تجعله الهدف رقم واحد. ليس المقصود بكلامي: أن يُعرض الإنسان عن هذه الحياة الدنيا كلا، ولكن ضعها في موضعها، ضعها في رقم اثنين في الخلف، لكن رقم واحد هو الشيء الذي تُشغل عقلك وقلبك فيه أكثر، كيف أجيء ربي بقلب سليم؟

القلب السليم هو الذي جمع خمسة أوصاف انتبه لها، واجعل هذا العلم وهذه وصية أوصي بها نفسي أولًا وأوصيك بها أخي الحبيب، هذا العلم احرص على أن يصل إلى قلبك، إلى أن يكون علمًا يتبعه عملٌ.

❑ **الأمرُ أنَّ القلبَ السّليمَ هو ما جَمَعَ خمسةَ أوصافٍ:**

۞ **الوصفُ الأول:** هو القلب الذي أسلم.

۞ **الوصفُ الثاني:** هو القلب الذي سَلَّم.

۞ **الوصفُ الثالث:** هو القلب الذي استسلم.

۞ **الوصفُ الرابع:** هو القلب الذي سَلِمَ.

۞ **الوصفُ الخامس:** هو القلب الذي سَالَمَ.

← **هذه خمسة أوصاف:** القلب السليم هو القلب الذي أسلم وسَلَّمَ واستسلم وسَلِمَ وسَالَم. **أسلم** لله، و**سَلَّمَ** لاتباع رسول الله ﷺ، و**استسلم** لقضاء الله وقدره، و**سَلِمَ** من كل ما يقطعه عن الله ﷻ وذكره، و**سَالَمَ** أولياء الله وعادى أعداء الله، هذه الأوصاف الخمسة هي أوصاف القلب السليم.

من جاء ربه بهذا القلب الموصوف بهذه الصفات فليُبشر بالخير العظيم، فارع سمعك وافتح قلبك لبيان هذه الأوصاف الخمسة يا رعاك الله:

✍ **أول صفة للقلب السليم: هو القلب الذي أسلم لله،** قال الله ﷻ عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: 131]. القلب الذي أسلم لله هو الذي حقق توحيد الله وسَلِمَ من كل شرك يقدح في توحيد الله. قلب سليم ليس فيه أدنى تعلق بغير الله ﷻ، قلب صافٍ محبته لله، خوفه من الله، توكله على الله، رغبته إنابته،

كلها إلى الله ﷻ، إن دعا دعا الله، إن نذر نذر لله، إن حج أو صام أو صلّى أو طاف أو ذبح أو فعل أي عبادة توجه بها إلى الله ﷻ، كل شيء في حياته يتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؛ لأن إليه المنتهى، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: 42]. منتهى القصد والإرادة والمحبة والخوف والإنابة والعبادة، كلها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، هذا الذي يجب علينا يا عباد الله، وهذا الذي خلقنا الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى من أجله أن نُسلم لرب العالمين، أن تسلم قلوبنا لله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى. فالله الأكبر إذا صلينا يا أخوتاه ماذا نقول؟ الله أكبر، الله أكبر من كل شيء، ومحبته في القلوب، وخوفه ورجاؤه يجب أن يكون أكبر، الله أكبر.

إذن التوحيد والسلامة من الشرك لا يمكن أن يكون القلب سليمًا والله لو تعلّق بغير الله، بل هذا هو الجريمة الكبرى أن يُشرك مع الله ﷻ غيره، لا توجد جريمة على وجه الأرض أعظم من هذه الجريمة على الإطلاق. في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم: "أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟"، الصحابة -يا إخوتاه- همهم هم عجيب، همهم الآخرة، همهم معرفة ما يحبه الله، ما يبغضه الله، حتى يفعلوا ما يحب ويجتنبوا ما يُبغض. هكذا يسألون رسول الله ﷺ، يتعلمون الشيء الذي ينفعهم عند الله، "أيا رسول الله أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟"، قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»، من خلقنا؟ أليس هو الله؟ من أحيانا؟ من يُميتنا؟ من يرزقنا؟ من الذي يضحكنا ويبكينا ويغنينا ويفقرنا ويقنينا، أليس هو الله سُبْحَانَهُ وَتعَالَى؟ إذن واجب أن نعبده ولا يجوز أن نتوجه بالعبادة لغيره، فإن هذا هو الشرك الذي هو أعظم الذنوب عند الله ﷻ؛ لأنّ الله هو الغني، فإذا شاركه أحد فيما يستحقه اشتد غضب الله على هذا الإنسان. قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

إذن التوحيد، لابد أن يعمر هذا القلب إذا كان يريد أن يكون سليمًا، لابد أن يسلم من الشرك كله قليله وكثيره، كبيره وصغيره، هذا هو القلب السليم.

الشرك -يا إخوتاه- مرض وأي مرض، قال الله ﷻ في وصف قلوب المشركين من الذين عبدوا غير الله من المنافقين، هؤلاء المشركون الذين جعلوا مع الله ﷻ غيره في العبادة، اتخذوا مع الله ندًا يعبدونه كما يعبدون الله، ماذا قال الله ﷻ في وصف هؤلاء الكفار؟ قال: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: 10]، قلوب مريضة، هذا الذي يتوجه بالعبادة إلى ما هو تراب، أو ما يؤول إلى تراب، ويغفل عن ربِّ الأرباب لا شك أن قلبه مريض.

بخلاف أهل التوحيد الخالص الذين سلمت قلوبهم لله، أهل الأرض كلهم يرونهم لا شيء، يتلاشى الناس كبيرهم وصغيرهم في أعينهم وفي قلوبهم إذا ذُكر الله العظيم سُبْحَانَهُ وَتعَالَى، فكيف يتوجهون إليهم؟ وكل الذي فوق الترابِ ترابُ، قلوبهم معمورة بحب الله ﷻ والإخلاص له. ولذلك هم أهل سلامة من الشرك لا كبيره ولا حتى صغيره؛ لأن الشرك -يا إخوتاه- أكبر جريمة على وجه الأرض، أكبر جريمة تقع على وجه الأرض هي أن يُشرك مع الله غيره في العبادة، أي والله. أي جريمة تتخيلها من قتل وفواحش وسرقات واعتداءات، كلها جرائم عظيمة، ولكنها أقلُّ بكثير من الجريمة الكبرى وهي الشرك بالله ﷻ. لِمَ؟ لأن الشرك أظلم الظلم، ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان: 13]. الظلم في اللغة العربية هو: وضع الشيء في غير موضعه. فأيُّ ظلم أعظم من أن تضع العبادة في غير موضعها؟ سبحان الله العظيم! هل تجد أحدًا أحقَّ بالعبادة من الله العظيم فتتوجه بها إليه؟ الشرك أعظم معاندة لله، الله يخلقك لأجل أن توحده، ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]، يعني: يوحِّدُون، وتأتي فتعاند الله، فتشرك به، تفعل ضد الشيء الذي خلقك من أجله؟! أي معاندة أعظم من هذه المعاندة؟!

ولذلك نقولُ: الشرك أعظم ذنب وعقوبته أعظم العقوبات، أيُّ عقوبة في ذهنك على ذنبٍ فإنّ عقوبة الشرك أعظم منها:

▪ **أوّلا:** الشرك ذنب لا يغفره الله، من مات عليه لـم يتـب إلـى الله منه والله لا يُغفر لـه ذلك، هذا كلام الله، **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾** [النساء: 48]، انتهى الأمر، حَكَمَ الله والله لا يُبَدَّلُ القول لديه، **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾**.

▪ **ثانيًا:** الشرك ذنـب يُحبط جميع الأعمـال. والله لـو أن إنسـانًا عـاش في هـذه الحيـاة سبعين، ثمانين، تسعين سنة قضاها كلها في طاعة الله في ذكر وصلاة وقيام وصيام وإنفاق وحج وعمرة، ولكنه في آخر دقيقتين في حياته دعا ميتًا من الأموات، يعني: أشرك مع الله في الدعاء، قال: يـا رسول الله المدد المدد، ومات على هـذا، مـا مصير تسعين سنة من العمل الصالح؟ الجواب: لا شيء، يجعلها الله هباءً منثورًا، صفر لا قيمة لهـا، **﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾** [الفرقان: 23]، هذه أعمال المشركين والعياذ بالله.

▪ **ثالثًا:** الشرك ذنبٌ يُخلِّد صاحبه في النار أبد الآبدين، المشرك إذا لقي الله لا حظ لـه في رحمة الله، قـال الله ﷻ عـن هـؤلاء المشـركين، وصـفهم الله ﷻ بوصـف عجيـب فقـال: **﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾** [العنكبوت: 23]. الله أكبر! يئسـوا مـن رحمـة الله، والله لا حظ لهـم في رحمـة الله، ولـذلك عـذابهم دائـمٌ متّصـلٌ إلـى مـا لا نهايـة، خالـدون فيهـا في جهـنم والعياذ بالله أبد الآباد، ذنب هذا شأنه، أليس حريًّا -يا إخوتاه- بـأن نخـاف منه وأن نحـذر وأن نتعلمه لنحذره؟ والله إنه لكذلك.

إبراهيم عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ إمام الموحدين وأبو الأنبياء والمرسـلين ﷺ يـدعو الله فيقول: **﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾** [إبراهيم: 35-36]، هذا وهـو الإمام في التّوحيد بعد نبينـا محمـد ﷺ. أعظـم النـاس توحيـدًا بعـد نبينا محمد ﷺ إبراهيم عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامَ، ومع ذلك كان يخاف من الشرك، ألسنا أولـى أن نخاف منه وأن نحذره؛ لأن له هذا الخطر العظيم؟

✍ **الصفة الثانية للقلب السليم: هو القلب الذي سَلَّمَ لرسـول الله ﷺ اتّباعـه،** قلـبٌ سليم قدوته رسـول الله ﷺ، يفعـل مـا فعـل كمـا فعـل، ويـترك مـا تـرك، وينتهـي عمـا نهـى،

ويُصدقه في أخباره عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، هذا هو القلب السليم؛ لأنّ نبيّنا محمدًا ﷺ هو الذي سنُسأل عنه فلا أحد من البشر سنُسأل عنه سواه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم في موضعين عظيمين: إذا وضعنا في قبورنا، وإذا بُعثنا يوم القيامة. هل نُسأل عن أحد إلا عن رجل واحد هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي ﷺ؟ في قبورنا سنُسأل ماذا أجبنا رسول الله، من هذا الذي بُعث فيكم؟ ويوم القيامة سنُسأل عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 65]، رسولنا هو محمد ﷺ، إذن سنُسأل عنه. في صحيح مسلم من حديث عياض المجاشعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الحديث طويل وفيه ما يحكيه ﷺ من كلام ربِّه، يعني: حديث قدسي، فيه يقول سُبْحَانَهُ وَتعَالَى مخاطبًا نبيه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم: «**إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**»، والله إنه لحديث عظيم، حريٌّ أن يقف الإنسان عنده مليًا.

هذا النبي عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم تدري لماذا بعثه الله؟ بعثه لأمرين:

- **الأول:** يتعلّق به هو عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.
- **والأمر الثاني:** يتعلّق بنا نحن معشر أمة محمد ﷺ.

«**إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ**»، ابتلاء وامتحان في قيامه بأعباء الرسالة وإبلاغ أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، هذا الذي يتعلّق به عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم.

أما الأمر الذي يتعلّق بنا فالله جعله ابتلاءً وامتحانًا لنا، هل نقتدي به؟ هل نأتسي به؟ هل نتبعه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم؟ هل يكون قوله المُقدَّم عل جميع الأقوال؟ هل تكون سنته في قلوبنا وعلى جوارحنا أعظم ما يكون حرصًا وعملًا وتطبيقًا؟ «**إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**».

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ [الفتح: 8-9]، ﴿**وَتُعَزِّرُوهُ**﴾، واجب علينا أن نُعزِّر رسول الله ﷺ وتعزيره نُصرته. ﴿**وَتُوَقِّرُوهُ**﴾، توقيره عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم هو تعظيمه، لابد من تعظيمه في القلب وبالجوارح، لابد من أن نتبعه عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلاَم، لا نُقدم على قوله قولًا، ﴿**لَا تُقَدِّمُوا**

﴿بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: 1]، لا يجوز لنا أن نرفع الأصوات في حضرته، لو كان حيًّا عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام. **﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾** [الحجرات: 2]، وفي مسجده عَليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام أدبًا له تأدبًا معه لا نرفع أصواتنا، وأيضًا ألا نرفع صوتًا أمام سنته ولا نقدم رأيًا ولا مذهبًا ولا قول شيخ ولا قول مُعظم على قول رسول الله ﷺ. كل الأقوال تُطرح، كل المذاهب تسقط أمام سنة رسول الله ﷺ. لو كان أهل الأرض جميعًا في جانب وسنة رسول الله ﷺ في جانب، لو كنت صاحب قلب سليم كنت في هذا الجانب الذي فيه سنة رسول الله ﷺ. إذن القلب السليم -يا إخوتاه- هو القلب الذي عُمِرَ بالسنة ومحبتها واتباعها، وبالتالي سَلِمَ من ضدها وهو البدعة.

قلنا في الأمر الأول: القلب السليم الذي سَلِمَ من الشرك.

ونقول الآن: القلب السليم أيضًا هو الذي سَلِمَ من الابتداع في دين الله ﷻ، البدعة شر الأمور بوصف رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: **«أمّا بعدُ، فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشرّ الأمور محدثاتها».**

البدع في الدين أن نزيد على السنة، أن نُحدث من عند أنفسنا تعبدًا لله ﷻ ما أنزل الله به من سلطان، يا لله العجب، **عبد الله ليس الشأن أن تعبد الله بما تحب إنما الشأن أن تعبد الله بما يحب**، اجعل هذه قاعدة في حياتك.

البدعة شر وفساد وظلام للقلب ومرض فيه يا عباد الله. البدعة اتباعٌ للهوى، قال الله ﷻ: **﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾** [القصص: 50]، طريقان ليس لهم ثالث: إما اتباع السنة، أو البدعة، يعني: اتباع الهوى، واتباع الهوى ضلال عظيم، **﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾** [القصص: 50].

إذن البدعة أولًا: اتباع للهوى.

البدعة ثانيًا: اتهام للنبي ﷺ بأنه ما بلغ البلاغ المبين، يعني: علم أن في هذا الأمر المُحدث سواء كان ذكرًا، صلاةً، مولدًا، احتفالًا، أن فيه خيرًا يُقرب إلى الله وسكت عَليهِ

الصَّلَاةُ والسَّلَامَ وكتم وما بيَّن، وهذا اتهام للنبي ﷺ بالخيانة، من يجرؤ على هذا من المسلمين؟

الأمر الثالث: أنّ في البدعة اتهامًا للنبي ﷺ أنه جهل دين الله وعلِمه المُحْدِثُ. وهذا لا يجرؤ عليه مسلم، كيف ونبينا ﷺ يقول كما في الصحيح في البخاري وغيره: **«أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللّهِ، وأشدُّكم له خشية»**. أعلم الناس بدين الله والله هو رسول الله ﷺ، وهذا المُحدِث المبتدع يقول: لا، أنا أعلم شيئًا ما علمه رسول الله ﷺ، فنتقرب إلى الله بما لم يُحدث. حذار يا عبد الله، والله إنّ قلبك لا يكون سليمًا لو كانت أعمالك على البدعة لا على السنة. قبل أن تفعل أي شيء تريد أن تتقرب به إلى الله قف لحظة واسأل هل فعل هذا رسول الله؟ إن فعل فقل: على الرأس وعلى العين، إن وجدت خاتم النبوة هذا العمل مختوم بخاتم النبوة فأقبل عليه بدون تردد، أما إن لم يكن عليه هذا الخاتم، إن لم يكن فعله ﷺ وأرشد إليه فإياك وإياه فإنه والله لا يزيدك من الله إلا بعدًا.

✍ **الصفة الثالثة للقلب السليم: هو الذي سَلَّمَ لقضاء الله وقدره:** قلب سليم إذا نزل قدر الله المؤلم، إذا ابتلى الله الرحيم عبده بمصيبة صبر وسَلَمَ ورضِي، قلبٌ سليم؛ لأنه يعلم أن الذي ابتلاه عليم، حكيم، رحمان، رحيم، لطيف بعباده، ابتلاك؛ لأنه يحبك ويريد الخير لك، قلب سليم يرضى. لا يمكن أن يجتمع سخط قدر الله وسلامة القلب، هذا شيء لا يمكن، أنت بين أمرين: إذا قدّر الله ﷻ عليك مصيبة من المصائب في نفسك، في مالك، في ولدك، في حبيب لك، ابتلاك الله بهذا لينظر كيف تفعل، أنت بين أن تنال رضا الله وتكون من أهل القلوب السليمة، أو تنال سخط الله. إن رضيت رضي الله عنك، إن سخطت سخط الله عليك. عند الترمذي بإسناد حسن قال ﷺ: **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ»**، كلما كان الابتلاء عظيمًا أبشر فالجزاء والثواب عليه عظيم. **«إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»**. إذن استسلم يا عبد الله وأبشر بالخير، استسلم لله، إياك والمعاندة، إياك والمنافرة، إياك والتسخّط. بعض الناس إذا نزلت المصيبة -والعياذ بالله- قال ما تقشعر

له الجلود: يا رب لماذا تفعل بي كذا؟ يا رب أنا ماذا صنعت حتى يكون كذا وكذا؟ أعوذ بالله هذا قلب مريض مسود والعياذ بالله.

أما الذي يعلم أنه عبد لله، وأنّ الله يفعل ما يشاء، وأنه لا يُسأل عمّا يفعل، وأنّ له الحكمة البالغة، وأنّ هذه الدنيا ليست نهاية المطاف ليست كل شيء إنما هي دار ابتلاء وامتحان، وأما الثواب العظيم والحياة الحقيقية فإنها في الآخرة، **﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾** [العنكبوت: 64]. يعني: الحياة الحقيقية والحياة الكاملة، ليست هذه التي نعيش فيها إذا علم كل هذا فإنه يرضى ويُسلم لقدر الله وقلبه ولسانه يقول: يا الله أنا عبدك افعل بي ما تشاء فخيرتك لي خير من خيرتي لنفسي، هذا هو القلب السليم -يا إخوتاه-.

✍ **الصفة الرابعة: أنّه القلب الذي سَلِمَ من كلِّ ما يقطع عن الله ﷻ ويشغل عن ذكره:** قلب حي، قلب ذاكر لله ﷻ، فأثّر هذا على لسانه، وأثّر هذا على جوارحه، فلسانه رطب من ذكر الله، وجوارحه مستقيمة على طاعة الله.

يُقابل هذا القلب المريض الذي شُغل عن الله ﷻ وعن ذكره ملهيٌّ في هذه الدنيا ومفاتنها، والله ﷻ يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، إذا سمعتَ ربك يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، فارخ سمعك فإن هذا خير تُدعى إليه يا عبد الله. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾** [التغابن: 14]، قد يكون ابنك عدوًّا لك، قد يكون المال الذي في جيبك عدوًا لك. متى؟ إذا شغلك عن طاعة الله؛ لأنّ النتيجة هي الخسارة. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [المنافقون: 9]، لا إله إلا الله، فأولئك هم الخاسرون، إذا شغلتنا أموالنا، دنيانا، تجاراتنا، أعمالنا، أولادنا، أزواجنا، أشغلتنا عن طاعة الله، أشغلتنا عن ذكر الله، قدّمنا ذلك على الصلاة المفروضة، أصبح الإنسان غافلًا عن الله يحرث في هذه الحياة كحرث الحيوان في الأرض غافل عن ذكر الله، النتيجة: **﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**. هذه حقيقة -يا إخوتاه- لابد أن نستيقظ لها. الله ما خلقنا للتجارة، الله ما خلقنا للوظيفة، الله ما خلقنا للدراسة، الله ما خلقنا لشيء من ذلك، الله خلقنا لعبادته،

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، هذه هي الحقيقة. إذن حذار -يا إخوتاه- أن ننشغل عن طاعة الله وذكره. اعمل واشتغل، ولكن لتكن الدنيا في يدك لا في قلبك، هذا هو الفرق بين القلب السليم، والقلب المريض. الكلُّ يعمل في الدنيا، ولكن صاحب القلب السليم الدنيا في يده، أما قلبه فسليم قلبه لله. صاحب القلب المريض الدنيا في قلبه ولذلك مشغول عن طاعة الله، الدنيا لابد منها، لابد من مال، لابد من وظيفة، لابد من عمل، هذا شيء لا نقاش فيه، ولكن المهم أن تضع الدنيا في محلّها. الدنيا شأنها كما قال العلماء: شأن الخلاء، الدنيا شأن الخلاء، يعني: مثل دورة المياه، لا تستغني عنها، أنت بحاجة إليها، ولكن تأخذ منها القدر الذي تحتاجه ثم تبتعد حتى لا تُشغلك، كما أن دورة المياه لا أحد يدخل دورة المياه إلا ويجلس القدر الذي يحتاجه فقط ثم يخرج مسرعًا. لا أحد يدخل دورة المياه ويقول: والله أنا مرتاح وسعيد في هذا المكان، إنما خذ منها حاجتك ثم باقي وقتك وحياتك اجعلها لله، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]. قف كثيرًا عند قوله: ﴿وَمَحْيَايَ﴾، حياتك لله من ابتدائها إلى انتهائها، منذ أن تستيقظ إلى أن تنام، يجب أن تكون حياتك لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾.

✍ **الوصف الخامس والأخير: القلبُ السّليم هو القلب الذي سَالَم أولياء الله:** قلب سليم لا يحمل في قلبه للمسلمين إلا الخير والرحمة، يحبُّ لهم الخير كما يحبُّه لنفسه، ينصح لعباد الله، يوجِّه إلى الخير، لا يحمل قلبه غِلًّا ولا حقدًا ولا حسدًا، هذا قلب سليم. القلب الذي إذا رأى صاحبه على أخيه خيرًا فرح من أجله وليس حسده على نعمة الله الذي أعطاه. القلب السليم الذي إذا رأى صاحبه على أخيه المسلم توجهًا إلى الخير وإقبالًا عليه فرِح وشدَّ من أزره وساعده على ما ينفعه. القلب الذي لا يُضمر الشر والحقد على إخوانه المسلمين، هذا هو القلب السليم. هو القلب الذي إذا رأى صاحبُه أخاه على خطأ إنه يحزن من أجله ويحب أن يستقيم أخوه على الخير، ولذلك ينصحه ويدعوه ويترفق به، قلب سليم.

ولنعلم يا إخواني أننا لن نصل إلى الجنة إلا إذا كانت قلوبنا سليمة من هذه الجهة، قال النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

الشّاهدُ من الحديثِ: أننا لن ندخل الجنة حتى نتحابَّ. إذا كانت بيننا المحبة كانت قلوب بعضنا لبعض سليمة، نحب الخير لبعض، وننصر بعضنا، ونعين بعضنا، ونشد من أزر بعضنا، ونتعاون على الخير، نجتمع ونأتلف على طاعة الله ﷻ وعلى ما يحب، هذه القلوب السليمة.

أما القلب المريض فصاحبه مليء بالبغضاء الشنآن والحقد والحسد، لا يحب أن يكون الخير إلا له. إذا رأى على أحد شيء تألم وتحسر، كيف فلان أعطاه الله ما أعطاني؟ عنده مال، عنده سيارة، عنده بيت أنا ما عندي، يتمنى أن تزول النعمة عن أخيه والعياذ بالله، حقد والعياذ بالله، سوء أدب مع الله.

ألا قُلْ لمن كان لي حاسدًا ... أتدري على من أسأتَ الأدب
أسأتَ على الله في حكمه ... لأنّك لم ترْض لي ما وهب

الحاسد أساء الأدب مع الله، قلبه مريض مسود والعياذ بالله.

إذن: هو القلب الذي سَلِمَ اتجاه إخوانه المسلمين، أحب لله وأبغض لله، هذا هو صاحب القلب السليم.

أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أنْ يَسْلُلَ سخيمة قلوبنا، وأنْ يجعلها قلوبًا سليمة، وأنْ يملأ قلوبنا بحبه وألسنتنا بذكره، وأنْ يوفقنا لطاعته، وأنْ يُجنبِّنا معاصيه، وأنْ يوفِّقنا لكلِّ ما يحبه ويرضاه، وأنْ يستعملنا فيما يُقرِّبنا إليه، وأنْ يُجنبِّنا مساوئ الأقوال والأعمال والأخلاق إنّ ربنا لسميع الدعاء.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.